

أضواء البيان

@ 288 لأنه لا يستطيع الارتقاء إلى السماء ومنع نزول النصر منها عليه صلى الله عليه وسلم : وعلى هذا القول : فصيغة الأمر في قوله { فَلَا يَمْدُدُّهُ } وقوله { ثُمَّ }
{ لَا يَفْقَهُ } للتعجيز { لَا يَفْقَهُ طَاعٌ } وَلَا يَفْقَهُ طُورٌ { ذلك الحاسد العاجز عن قطع النصر عنه صلى الله عليه وسلم : هل يذهب كيده إذا بلغ غاية جهده في كيد النبي صلى الله عليه وسلم ، ما يغيظه من نصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم . .
والمعنى : أنه إن أعمل كل ما في وسعي ، من كيد النبي صلى الله عليه وسلم ليمنع عنه نصر الله ، فإنه لا يقدر على ذلك ، ولا يذهب كيده ما يغيظه من نصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم . .

ومما يشهد لهذا القول من القرآن قوله تعالى { أَمْ لَهُمْ مَثَلٌ لِّكُلِّ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يُدْرِكُوهُ فِي الْآسَافِ * جُنْدٌ مِّنَ هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْآسَافِ } وقد أوضحنا معنى هذه الآية في سورة الحجر . .
ولبعض أهل العلم قول ثالث في معنى الآية الكريمة : وهو أن الضمير في { لَّنْ يَنْصُرَهُ } عائد إلى من في قوله تعالى { مَن كَانَ يَظُنُّ } وأن النصر هنا بمعنى الرزق ، وأن المعنى : من كان يظن أن لن ينصره الله أي لن يرزقه ، فليختنق ، وليقتل نفسه ، إذ لا خير في حياة ليس فيها رزق الله وعونه ، أو فليختنق ، وليمت غيظاً وغماً ، فإن ذلك لا يغير شيئاً مما قضاه الله وقدره ، والذين قالوا هذا القول قالوا : إن العرب تسمي الرزق نصراً ، وعن أبي عبيدة قال : وقف علينا سائل من بني بكر ، فقال : من ينصرك نصره الله ، يعني : من يعطيني أعطاه الله ، قالوا : ومن ذلك قول العرب : أرض منصوره : أي مطورة ، ومنه قول رجل من بني فقعس : وليمت غيظاً وغماً ، فإن ذلك لا يغير شيئاً مما قضاه الله وقدره ، والذين قالوا هذا القول قالوا : إن العرب تسمي الرزق نصراً ، وعن أبي عبيدة قال : وقف علينا سائل من بني بكر ، فقال : من ينصرك نصره الله ، يعني : من يعطيني أعطاه الله ، قالوا : ومن ذلك قول العرب : أرض منصوره : أي مطورة ، ومنه قول رجل من بني فقعس : % (وإنك لا تُعطي امرأة فوق حقِّه % ولا تملك الشَّق الذي ألغيت ناصره) % .
أي معطيه . .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : وهذا القول الأخير ظاهر السقوط ، كما ترى ، والذين قالوا : إن الضمير في قوله { أَمْ لَّنْ يَنْصُرَهُ } راجع إلى الدين ، أو الكتاب ، لا يخالف قولهم قول من قال : إن الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ، لأن نصر الدين ،

والكتاب هو نصره صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى ، ونصر الله له صلى الله عليه وسلم في الدنيا ، بإعلائه كلمته ، وقهره أعداءه ، وإظهار دينه ، وفي الآخرة بإعلاء درجته ، والانتقام ممن كذبه ، ونحو ذلك كما قال تعالى { إِنْ زُلْنا لَنَنْصُرَنَّ رَسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا }
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُادُ { فإن قيل : قررتم أن
الضمير في ينصره ، عائد إليه صلى الله عليه وسلم ، وهو لم يجر له ذكر ، فكيف قررتم رجوع